الحيل[1] فتفريق الدود والعناية الكلية في النظافة امران مهمان جدًّا لسلامته وجودة شرانقه ومجانبة الشرانق البقيلية اه. (ولا بأس من مراجعة ما كتبناهُ في هذا الموضوع وجه ٢٧ و٥١ من المجلد الاوّل)

فاننا ان نذكر في الجزء الماضي ان في نبذة "الانسان" لجناب العالم العامل الدكتور بشاره افندي زلزل فوائد جمّة واسئلة واجوبة مهمة مما تحدث به ابناء هذا العصر كثيرًا ويجبن الوقوف عليهِ كاهية الانسان . والفرق بينهُ وبين الحيوانات النجم . واصلهِ . وفي اي مكان من الارض ظهر اولاً . وهل الجنس البشري في الاصل من واحد . ومن اين اصل سكان اميركا الاصليين . وهل الآدميون على اختلاف هيئاتهم واشكالهم الاّ نوعات الجنس البشري الى غير ذلك من المباحث ولذلك وجب ان ننبّه حضرات القراء ان يقرنوا مطالعة هذه النبذة بالتي قبلها لاتمام المعنى والفائدة

ماهية الانسان واصلهُ وزمان ظهورهِ على الارض

لجناب الفاضل الدكتور بشاره افندي زلزل

قد اورد العلاّمة لويس فيكيه في مؤلفهِ بهذا الفن المطبوع سنة ١٨٧٥ تحديدًا للانسان نسبة الى الفيكونت لويس دوبونلد وهو الانسان جسمٌ آليٌّ عاقلٌ وقال بشانهِ لو لم يكن هذا الحدُّ ناقصًا لكونهِ لم يقوّم فصلاً كافيًا للانسان عن الحيوانات لكنا اثرناهُ لكونهِ يوضح جليًّا الخاصة الحقيقية للبشر التي هي العقل . فكانهُ يقول العقل لا يصلح ان يكون فاصلاً بين الانسان والحيوان البهيم لكونهِ مشتركًا بينهُ وبينهنَّ اذ ان الحيوانات تعقل ايضًا وهي اجسام آلية كذلك . الاّ ان درجة عقل الحيوان البهيم منحطة انحطاطًا كليًّا عن درجة عقل الانسان . فعقل البهيم محصورٌ ضمن دائرة اضطرارهِ للمحاماة عن نفسهِ والهجوم على فريستهِ وطلب رزقهِ وربما داخلهُ شيءٌ جزئيٌّ من العواطف والمودة لا يتجاوز دائرة ضروراتهِ المادية . اما عقل الانسان فيصل بخلاف ذلك الى مبلغٍ سامٍ ودرجة عليا ولو كان محدودًا ولم يتهيأ لهُ حلُّ مشكلات مسائل قرّرها تكبرًا وعتوًّا . على ان الانسان من حيثية بدنهِ انما هو حيوان يحيا في ظرف ماديّ بناؤهُ قريبٌ من بناء الحيوانات اللبونة ولا يمتاز عن الحيوانات الاّ من حيثية سعة قوّة العقلية . فاذًا يجب ان يكون تحديدهُ مبنيًّا على نسبتهِ اليها مع اعتبار جهة امتيازهِ عنها . وبناء عليهِ تحدُّ الانسان بانهُ جسم آليٌّ عاقل مجهز بقوة الاستدلال

على ان حد الانسان بكونهِ حيوانًا ناطقًا كما قال الفلاسفة القدماء انما هو وافٍ بالمقصود بحسب اصطلاح المتطفين لكونهِ دالاًّ على تمام ماهيتهِ ومميزًا اياهُ بالنطق الذي يقوّم فصلاً حقيقيًّا لهُ . ولا يُرَدّ بقول من قال الببغاء تنطق وهي من الحيوانات البهيمية . لان الببغاء لا تنطق الاّ بما تلقنهُ من

(١) حاشية . غالبًا في بلادنا العربية ينغش القوم متى نظروا الدودة كبيرة فيقولون تخزي العين الخ . والحال ان هذا لا يعتبر فكم من دودة طويلة غليظة تحيك شرانق عاطلة لانها ضعيفة

الكلام على غير تروٍّ وبدون معرفة فلا تقدران توضح افكارها ولا تدل بالنطق من تلقاء ذاتها على ماثورائها كالانسان . فعدم النطق في الحيوان الاعجم ليس ناتجاً عن نقص في بناء آلة الصوت المختصة بانواعه على اختلافها اذ ان هذه الآلة قد تبلغ في بعضها مبلغاً عظيماً من احسن البناء . اذاً النطق في الانسان دليل على قوة عقلية غير مدركة قد تخولها من الله تعالى

وفضلاً عليه يجب ان نعترف بانه ليس في وسعنا ايجاد حدٍّ حقيقي للانسان بمعنى كون الحدّ قولاً دالاً على ماهية الشيء والاّ فلا نكون اخطأنا الفرض بما قلناهُ مع اعتبارنا حقيقة الحد انه مثال في الذهن مطابق للمحدود في الوجود كما قال الامام المنطيقي المدقق الشيخ زين الدين عمر بن سهلان الساوي . وذلك اولاً لان الحدّ من الاقوال الشارحة التي تفيد التصوُّر وهو من العلوم النظرية فاذا لم تضمّ جميع الآراء تكون عرضةً للرد والتفنيد . وثانياً لكون الحدّ الحقيقي التام باعتبار كونهِ قولاً دالاً على ماهية الشيء يؤذن بان تحديدهُ لا يمكن الاّ بعد المعرفة التامة بهِ والمعرفة التامة لا يتيسر للبشر الحصول عليها ولذلك قال بعضهم ان معرفة الحدّ الحقيقي غير ممكنة الاّ لله لان المعرفة التامة لا تتوقع لسواهُ سبحانهُ وتعالى فلو امكن الانسان الوصول الى معرفة حقائق جميع الاشياء لحصل على المعرفة التامة وصار شبيهاً بالعلي وذلك غير ممكن وانما جميع ما يبلغهُ الانسان من المعرفة لا يتجاوز القدر الذي يهبهُ الله للبعض فلا علم لنا الاّ ما علمناهُ تعالى

واوّل ما يلوح في خاطر ذي اللب السؤال من اين اتى الانسان . ولماذا وُجد . وهل لم يكن ممكناً عدم وجودهِ . فالجواب عن ذلك لا يستطاع عليهِ ولا سبيل لبشر الاّ ان يكون أُوتي الوحي من عند الله وأُيّد بحدس صائب ان يعرف مثل هذه الاشياء الغامضة التي تفوق طور العقول . على انهُ يمكننا ان نسأل في هذا المحل سؤالاً طالما اشغل بال العلماء وهو هل خُلق الانسان في البدء واحداً كما هو الآن او هل صدر عن نوع حيوان سابق لهُ وتنوع في بنائهِ التشريحي بواسطة الزمن والاوساط المحيطة بهِ . او بعبارة اخرى هل يصحُّ ما زعمهُ بعض العلماء المتاخرين من ان الانسان قد نتج من نوع خصوصي من القرود تام البناء وذلك النوع متوسط بين القرود المعروفة الآن والانسان الاوّل . فالجواب عن ذلك لا يسعنا ذكرهُ هنا بالتفصيل فنشير اشارة خفيفة الى خساسة قول القائلين بصدور الانسان من نوع حيوان سابق لهُ في التكوين . فهذا القول مبنيٌّ على ما عُرف من المشابهة العضوية بين الانسان والقرود من الصنف الاوّل . وربما نشأ عند ما عُرف الاوران اوتان (المسمى هكذا عند الملقبين ومعناهُ الانسان الوحشي) وغيرهُ من القرود كالكوريل والشمبانزي والجيبون . فقد نظر العلماء اذ ذاك اليها لا بحسب الحقيقة ولكن بحسب الظاهر ومن ثمَّ اخذوا في كل وادٍ يهيمون فنشأ بحثهم من القصص ما يضاهي حكايات الاقدمين عن الغول والمارد

والتفريت . والحق ان الانسان منفرد في نوعيته وله خصائص كثيرة معتبرة تقوم فصلاً حقيقيًا بين هذه الحيوانات وبينهُ . ولا يصح القول ان الانسان نشأ عن نوع حيوان قبله متوسط بينهُ وبين هذه القرود لانهُ لا يوجد مثل هذا بين الحيوانات الاخر فكل نوع مهما كان بناؤهُ دنيًا اوساميًا لا ينتج الاَّ من نوعهِ . ولو كان الامر كذلك لنشأ من الانسان حيوان اتم منهُ بناء واحسن تقويمًا بل لكان البشر في سابق العصر والاوان هم غير البشر في عصرنا هذا . والحال اننا لا نرى شيئًا من ذلك فالبشر الآن هم كالذين كانوا في الاعصر السابقة ولو تنوعت عوائدهم . هذا بقطع النظر عما بين هذه الحيوانات والانسان من البون العظيم بالنظر الى الاشياء الادبية التي لا يسعنا المقام ذكرها . الاَّ اننا بالجملة نقول ان الانسان جسم آليٌّ ناطق والحيوان جسم آليٌّ غير ناطق فكما انهُ لا يوجد وسيط بين السلب والايجاب فهكذا لا يوجد وسيط بين الانسان والحيوانات

واذ قد تقرَّر هذا عُلم ان الانسان انما هو نتيجة خلقٍ خصوصي وعلى كل حالٍ هو غير ازلي فلهُ اذًا علةٌ موجدة فترى ما هي هذه العلة . والجواب ان معرفة كنه هذه العلة يفوق ايضًا طور العقول فلا سبيل لنا ان نجيب عن هذا السوال الاَّ بان خلق الانسان انما كان من موجب الوجود الذي هو الله جلَّ وعلا عما يقول الكافرون علوًّا كبيرًا . فهو الذي خلق الانسان على اجمل صورة واحسن تقويم وخوَّلهُ الفهم وعلمهُ الاسماء كما شاء انهُ العزيز الحكيم ولعل هذا الجواب كافٍ لاقناع ذي الذوق السليم

هذا ولنبحث الآن في مسائل تهمنا معرفتها ولا يعسر علينا حل مشكلاتها كتلك لانها خاضعة لنواميس العلم . فمنها ما هو الزمن الذي يحدَّد فيهِ ظهور الانسان اولاً على سطح الارض والجواب على ذلك ما يطول شرحهُ فلا يسعنا استيعابهُ ملمًّا هنا . فلذلك نقتصر على تقرير خلاصة ما حصَّلهُ العلماء المتاخرون بهذا الصدد . انهُ لمقررٌ جيولوجيًا ان بقايا الكائنات الآلية التي نراها على الحالة الحجرية في طبقات الارض المختلفة تشير بكل وضوح الى اصول تلك البقايا فتعرف حقيقتها . والمأخوذ بهِ المعوَّل عليهِ عند الجيولوجيين ان هذه الطبقات قد اقتضى لها ازمنة مديدة لاتمام تكوينها . وقد اصطلحوا على تقسيم هذه الازمنة الى ادوار تعرف بالاوَّل والثاني والثالث والرابع . وكلٌّ منها مختص بهِ كائنات متحجرة لاجسام آلية تفرق من جهات كثيرة فروقًا معتبرة عن الكائنات المتحجرة في الادوار التي تليهِ . فتاخذ انواع الكائنات الآلية بالسموّ في البناء وازدياد النوع بقدر توالي الادوار الجيولوجية . وبناء عليهِ ترى الكائنات المتحجرة في الدور الجيولوجي الثالث اكثر انواعًا واسمى بناء من الكائنات المتحجرة المختصة بالدور الثاني . وكذا هي حالة هذا الدور بالنسبة الى كائنات الدور الاوَّل . فالكائنات المتحجرة تاخذ بالازدياد وسمو البناء من دور الى آخر حتى تصير في الدور الرابع كثيرة الشبه بالكائنات الحية الموجودة الآن . والحالة هذه قد اختلف الجيولوجيون من

جهة ظهور الانسان اولاً في الدور الثالث او في الدور الرابع . قال بعضهم بوجود آثار متحجرة مختصة به تدل على وجوده في الدور الثالث . وخالف هذا الراي اكثر علماء هذا العصر تدقيقًا محتجين ضدهُ بعدم كفاية البراهين التي ذكرها اصحابه . وقالوا بل ان الانسان قد وُجد اولاً على سطح الارض في بداية الدور الرابع قبل الطوفان العرمرم الذي غمر الارض وقلّب سطحها وقبل الدور الجليدي الذي كان سابقًا له . وقد اثبتوا قولهم هذا ببراهين كثيرة مستندة الى الملاحظات الجيولوجية التي لا يسعنا المقام ايرادها . وهذا الراي يطابق ما كتبهُ موسى الكليم في سفر التكوين اذ يوضح ان الله تعالى خلق الانسان بعد ان خلق جميع الكائنات وسلطهُ على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض وعلى الدبابات التي تدب على الارض وفي ذلك الدور المعروف بالرابع كادت تكون جميع الحيوانات المعروفة الآن موجودةً فيه وكان يوجد فيه انواع حيوانات كثيرة آخذة بالانقراض شيئًا فشيئًا . فمُذ خُلق الانسان الاوّل وكان يملأ الفياض والسهول وحوش ودبابات ضخمة الاجساد هائلة المنظر شريسة الخُلق رشيقة الحركة بما يفوق كثيرًا الوحوش والدبابات التي تقابلها في ايامنا هذه . وحيث هنا فقد كان البشر في ذلك الزمان معاصرين للزندبيل وهو الفيل العظيم ذو الجزّة والدب والنمر الهائلين وغيرها من حيوانات ذلك العصر التي تدل آثارها المتحجرة على ما كان لها من الهول وشدة الباس وضخامة القد . فصرف البشر حينئذٍ كل جهدهم في نزال هذه الزمر الوحشية المهولة لاذلالها وقطع شافة اضرارها بهم كي يكونوا على ثقة في معيشتهم متمتعين بالامن والطمانينة . وفضلاً عليهِ فقد كانت هذه الحيوانات وفقًا لنواميس الطبيعة تهلك وتباد عن سطح الكرة ويجيء معوضًا عنها انواع احقر منها او مختلفة عنها بينما كان الانسان يتقوّى ويتكاثر وينمو كما قال الكتاب المقدس . فكان يمتد رويدًا رويدًا الى جميع جهات المسكونة وينفذ امرهُ ويمكّن سلطنهُ على ما دونهُ اينما حل . وهكذا كان البشر يكثرون عددًا ويزدادون قوةً وينمون عقلاً ويتجهون من يوم الى يوم حتى تمّ بهم العمران وغلبت الحضارة على البداوة فانشئت المدن ومهدت الطرق وركبت متون البحار بالسفن وحرثت الارض واقيمت المعامل ويممت السلع وامتدّت المتاجر وكثرت الصنائع ونمت العلوم كل ذلك وفقًا لما تقتضيهِ احتياجات البشر ومطامعهم للحصول على رغد المعيشة والرفاهية . وكنا نودُّ ان نتبع خطوات الانسان في سبيل التمدن جيلاً فجيلاً منذ وُجد حقيرًا ضعيفًا عريانًا بين تلك الزمر الوحشية الهائلة الى ان صار الى هذا المبلغ العظيم من القوة والعمران والمعرفة لو لم يكن ذلك مما لا يسع المقام ذكرهُ ونتقدّم الآن الى البحث في هذا السوال الذي يتعلق بالسوال المتقدّم ذكرهُ وهو: هل وُجد الانسان بادئ خلقهِ في جهة واحدة من الارض: ستاتي بقيتهُ